كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في اللقاء السنويّ السادس عشر لشركاء مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الشماليّ (CEULN)، يوم السبت الواقع فيه ٨ نيسان (أبريل) ٢٠١٧، في الساعة الثانية عشرة والنصف، في مطعم « Silver Shore »، طرابلس – المينا.

هذا اللقاء السنويّ والتقليديّ معكم، أعزّائي الشركاء في طرابلس وشمال لبنان، منذ ١٤ سنة، يشكّل دومًا لحظة مميّزة جدًّا في حياة جامعة القدّيس يوسف ولا سيّما في حياة مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الشماليّ. الأمثولة التي تعطيها السيّدة المديرة حول مقاومة هذا المركز، مركز الدروس الجامعيّة على مرّ الزمن، يبيّن في الوقت نفسه إلتزامًا مدروسًا وديًّا تجاه بعضنا البعض، سواء كنّا من بيروت أو من الشمال، من أجل استمراريّة حضورنا خلال ٤٠ سنة من الوجود في شمال لبنان. إنّ العرض الشامل لجدول المساعدات الماليّة الذي يقدِّمه السيّد نائب رئيس الجامعة للشؤون الإداريّة للطلبة يكشف عن سياستنا الإجتماعية والجهود التي توافق عليها جامعتنا بتكريس أكثر من ١٨ مليون دولار لهذا الغرض. هذا الإلتزام الإراديّ في بناء إنسان الغد والأشخاص المتمتّعين بالكفايات والمهارات، والنخبة المهنيّة والمتعلّقة بالمواطنة، أنتم تتقاسموها معنا لأنّ البيت أو الصرح لا يمكن لشخصٍ واحد أن يقوم بتشييده، بل هو عمل جماعة ؛ وكشركاء، كنتم دومًا حاضرين في رسالتنا ونشاطنا الأكاديميّ في المركز. إذا كان من الواجب النابع من القلب والروح أن أرحّب بكم، أنتم وأنتنّ جميعًا، إلى هذا اللقاء، لا يسعني إلا أن أرفقه بكلمات شكر وامتنان لما أنتم عليه بالنسبة إلينا ولتضامنكم مع رسالتنا، هنا بالذات في طرابلس. أوجّه شكري أيضًا إلى السيّدة مديرة مركز الشمال وإلى كلّ الفريق المتفاني في رسالته.

حين نتحدّث عن تاريخ جامعتنا التي تعيش سنتها ال١٤٢ من الخدمة، كما هذا المركز الذي تأسّس منذ أربعين سنة، لا يسعنا إلا أن نتذكّر وجهًا جميلاً تركنا نحو المسكن الأبديّ، منذ أشهر، هو وجه رئيس الجامعة الفخريّ رينيه شاموسي René Chamussy اليسوعيّ، عاشق لبنان والذي أصبح مواطنًا من بين مواطنيه وخادمًا مخلصًا لرسالة جامعتنا وكذلك أحد الذين دعموا مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الشماليّ في جامعة القدّيس يوسف لكي يستمرّ في العيش والإزدهار ويبقى صامدًا. نسأل القدّيس يوسف،

شفيع الميتة الصالحة، أن يستقبله في أحضان المحبّة الإلهيّة وأن تكون ذكراه لنا خميرة من العطاء الذاتيّ من أجل خدمة أكبر ورغبة في التميّز. إلا أنّ هناك واقعًا هو أنّ ذكرى أحد الأشخاص يعيدنا نحو الماضي، ولكن يمكنه أيضًا أن يوجّهنا نحو المستقبل بمعنى أنّ الأب شاموسي كان مؤسّس العمل الإجتماعيّ في خدمة جماعتنا اللبنانيّة التي يُطلَق عليها اسم "عمليّة اليوم السابع" والتي كانت قد أُطلِقَت خلال حرب تمّوز ٢٠٠٦ بغية أن تمدّ اللاجئين والمهجَّرين بالعون والمساعدة ؛ وكما هذا المطبخ في فندقيّة جامعة القدّيس يوسف الذي كان يهيّء أكثر من ٦٠٠٠ وجبة طعام لمن لا ملجأ لهم ولا منزل ولا طعام. بعد الحرب، هذه العمليّة التي كانت قد حرّكت مئات الطلاب والمعلّمين، أصبحت نوعًا من وكالة للتنمية في جميع المجالات لدرجة أنّه في هذه السنة، سيبدأ عمل تنمية إجتماعيّة في بعض قرى عكّار مثل "كويخات" بدعمٍ من البلديّات القائمة في المنطقة.

كلّ هذا لنقول إنّ إحدى المهامّ الأساسيّة التي تؤدّيها جامعتنا، منذ تأسيسها في العام ١٨٧٥، هي خدمة التنمية وتغيير الجماعة. في رسالة الخدمة هذه المقدّمة إلى أسرة جامعة القدّيس يوسف تندرج أعمال إجتماعيّة وثقافيّة عدّة نقوم بها في الجامعة اليوم. هذه الرسالة تقول لنا إنّ علمنا وسلطتنا ليسا لنا فحسب، ليسا ملكًا لنا ولكنّ علمنا مخصّص لتغيير مجتمعاتنا إلى الأفضل ولتنمية مناطقنا وحاضراتنا ومدننا وبلداننا. هذا العلم مخصّص لكي لا يبقى نظريًّا ولكن ليصبح عمليًّا ويكون في خدمة الأكثر احتياجًا والأشخاص الذين يرزحون تحت وطأة الفقر، وتحسين ظروف المرأة وإعطاء الأمل إلى الأجيال الشابّة. إذا كان لدينا ايمان بالله، يجب أن يظهر هذا الايمان في كفاحنا من أجل العدالة. هذه هي روح جامعة القدّيس يوسف، هذه هي رسالتها التي تكمن في أن تجعل الرجاء يكبر. إنّه تعزيز روح المواطنة، وبأنّنا جميعًا أعضاء أسرة متضامنة ترذل وترفض الفساد وتحترم حقوق وواجبات كلّ واحد (ة).

في هذا السياق، سوف أعطي الأمثلة الثلاثة التالية : المثل الأوّل حول تعزيز صحّة المرأة التي تحظى باهتمام خاصّ ودائم في مدرسة القبالة في جامعة القدّيس يوسف. تمّ مؤخّرًا وضع برنامج تربويّ يتعلّق بالصحّة على أثر طلب موجَّه من المركز اليسوعيّ للاجئات في النبعة. المعلّمات والطالبات في مدرسة القبالة ESF، في إطار عمليّة اليوم السابع، أظهرن علاقة مهنيّة قائمة على أسس الثقة التي تتخطّى كلّ الشروط الإقتصاديّة والإجتماعيّة الثقافيّة. بدورهنّ، النساء اللاجئات استفدن من نصائح ذات جودة

من أجل تعزيز أفضل وضع صحّي وقمن بجلسات ثلاث، جماعيًّا وفرديًّا، تعالج محورين أساسيّين : ١- التربية على الصحّة الإنجابيّة ووسائل منع الحمل. ٢- والتربية على الصحّة الجنسيّة. هذا المثل عن التضامن هو دافعٌ رائع من أجل استمراريّة رسالتنا.

مثل ثانٍ يأتي من مركز الشمال : في مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الشماليّ ما كانت شجرة عيد الميلاد لتحتفل بالعيد إن لم تزر اليتامى والمتروكين : وهكذا، إختارت أسرة مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الشماليّ أن تحمل كرات شجرة الميلاد إلى الأطفال الذين فقدوا أهلهم ؛ في داخل كلّ كرة، كان طلابنا قد وضعوا ورقة صغيرة تحتوي عمر وجنس طفل من الفريقين تكفّل بهما شبابنا في ميتمين : "ميتم مار يعقوب، كفرفو" في منطقة زغرتا، و"ميتم الشعراني، أبو سمرا" في طرابلس. الطلاب والمعلّمون والموظّفون، إختار كلّ واحد منهم كرة وأحضر هديّة وفقًا للمحة حول حياة الطفل مدوَّنة على الورقة. رجل الميلاد (بابا نويل) قدّم بالتالي ٢٠٠ هديّة إلى ٢٠٠ طفل، ١٠٠ في كلّ مؤسّسة، ضمن أجواء من العيد تخلّلتها موسيقى وأغانٍ ورقص وألعاب وطعام... من أجل المشاركة معًا فرح "الميلاد". مرّة أخرى أيضًا، جامعة القدّيس يوسف هي جامعة للجميع ولكلّ لبنان، صارمة في خياراتها ومنفتحة على كلّ مجتمع المواطنين.

إنّها روح الفريق أن نكتشف اللبناني الآخر ونُظهر تضامننا معه الذي حثّ مجموعة من ١١ طالب من جامعة القدّيس يوسف من كليّات عدّة في بيروت كتبوا مؤخّرًا قصّة المواطنة اللبنانيّة بعرق جبينهم وذكاء عملهم، وقد قاموا بكتابتها معًا من أجل المواطنة ؛ هذا العمل الوطنيّ أُقيم، منذ بضعة أشهر، من فريق "تعا صوب الفنّ" الذي التزم خلال الأشهر الأخيرة هذه في عملٍ تصميميّ ضدّ العنف والتطرّف من خلال تعليم الفنّ ل٥٠٠ تلميذ من مدارس رسميّة من طرابلس ولبنان الشماليّ. غنوة، وايزابيل وعلي وشربل ونادين وغابيل وآخرون إستطاعوا، بقلبٍ واحد، أن يتركوا أرضهم في بيروت ليكتشفوا مدينة أخرى ويعيشوا فترة من الزمن مع شبابها. في شهاداتهم المقدّمة منذ شهر ضمن احتفال أُقيم في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة القدّيس يوسف في بيروت، كانوا يتكلّمون عن عملهم الذي غيّر بالطبع مشاعر وتصرّفات عنيفة عند الشباب ولكنّه غيّر أيضًا قلبهم وتصرّفاتهم. علامة هذا التغيير كانت الحماسة والتأثّر المُرفَق ببعض الدموع، وعلامة هذا التغيير هو أنّهم أدرجوا عملهم ومشروعهم ضمن مسابقة دوليّة حول مكافحة التطرّف إلى جانب

١٥٠ جامعة. تمّ الإبقاء على العمل من أجل المباراة النهائيّة التي جرت في واشنطن وأودّ أن نحيّي إنجازهم لأنّهم فازوا في المسابقة بشجاعة ومهارة.

إسمحوا لي في الختام أن أقتبس ما قاله لويس جوزيف لوبري Louis Joseph Lebret، هذا الخبير الدوليّ الكبير الذي كان يدعو اللبنانيين في العام ١٩٦١ للعمل معًا كمنظّمة متضامنة وذكيّة : "ما نفتقده في لبنان، قبل الماء والكهرباء و الاتّصالات، هو الافتقار إلى وجود جماعات من العمل مكرّسة للمصلحة المشتركة وتعمل بروح من التعاون على جميع الصعد من أجل حلّ جميع المشاكل على المستويين الإقتصاديّ والبشريّ. إن لم يحصل تحوّل في ذهنيّة النخبة اللبنانية الشابّة وإن لم تحدث ثورة فكريّة وأخلاقيّة، سيكون التقدّم هشًّا ولن يتمكّن لبنان من تأدية دوره في الداخل، كعنصر تماسك، ولا في الخارج، كمركز للحضارة الدوليّة".

الزملاء والأصدقاء الأعزّاء، هذه الأعمال وغيرها، إلى جانب تميّز الشهادات، تجعل من هذه الجامعة التي تُدعى جامعة القدّيس يوسف طريقًا نسلكها للمضي قُدُمًا ومدرسة للحياة، وليس مجرّد مؤسّسة يتمّ فيها الحصول على الشهادات. سيكون هدفنا دائمًا أن نُحدث فرقًا إيجابيًّا بالنسبة إلى الحائز على الشهادة وبالنسبة إلى المجتمع ومستقبل لبنان ومنطقتنا في شمال لبنان.